النوري عبيد

مدير دار محمد علي للنشر – تونس

رئيس اتحاد الناشرين التونسيين

رئيس الاتحاد المغاربي للناشرين

عضو مجلس إدارة اتحاد الناشرين العرب

عضو هيئة الرابطة الدولية للناشرين المستقلين

باسمي الخاص

وباسم الناشرين في تونس وفي المغرب العربي

وبصفتي عضو مجلس إدارة اتحاد الناشرين العرب

لا يسعني في هذا الحفل وفي هذا الملتقى إلا أن أحيّي مبادرة إخواننا في جمهورية الصين الشعبية و« مجموعة النهر الأصفر للنشر والإعلام بنينغشيا».

وأتمنى أن تساهم هذه المبادرة في تعزيز التعاون بين الناشرين العرب والصينيين من أجل استرجاع المكانة التاريخية للحضارتين الصينية والعربية التي شعّت وقادت وأفادت البشرية منذ آلاف السنين.

لست في حاجة بأن أذكّر بما للحضارة الصينية من فضل على كل البشرية، كما أني لست في حاجة بأن أعيد إلى الأذهان ما قامت به الحضارة العربية من إضافة للحضارة العالمية.

لقد كانت منطقة الشرق المنبع الحضاري الذي استلهمت منه كل البشرية العلم والعقيدة وتعلمت منه كتابة الحرف وتعلمت تسخير الطبيعة لخدمة الإنسان، وساهمت في وضع أسس الحكم المركزي الذي لا يقوم النموّ البشري إلا به.

إن لقاء الثقافتين اليوم ودعم الصلة بينهما يطمح إلى إضافة جديدة لنا وللعالم. ينمو قطاع النشر في الصين وفي البلاد العربية نموا ملحوظا حيث تنتج الصين حسب إحصائيات 2007 مايزيد عن 6 مليار نسخة سنويا، وما يقارب 250 ألف عنوان، ينجزها أكثر من 570 ناشرا رسميا وبعض الناشرين الحرفيين الخواص، ويحقق قطاع النشر ما يقارب 5مليار يورو سنويا.

وحيث يساهم ما لا يقل عن ألفي ناشر عربي بإنتاج ما يزيد على نصف مليار نسخة بما في ذلك الكتاب المدرسي إلا أن هذا النمو يفتقد سياسة تبادل واضحة بين الطرفين.

لقد نما التبادل الاقتصادي الصيني العربي نموا كبيرا، ولكن التبادل الثقافي بقي حبيس مبادرات حكومية محتشمة تقف عند حدود التعارف عن بعد وكثيرا ما تتسم بسمة الديكور للتعبير عن النوايا الحسنة لتبادل العواطف السياسية من أجل دعم اقتصادي وتجاري موعود.

كانت فترات ازدهار التبادل في مجال النشر بين الصين والدول العربية هي فترة الثورة الثقافية الصينية التي تزامنت مع نمو حركة التحرّر العربية في الستينات والسبعينات وبقي هذا النمو مرتبطا بوضع سياسي خاص قامت السلطة الصينية والدبلوماسية الصينية الثقافية بنشر كتب عربية مترجمة وبترجمة كتب من الصينية إلى العربية

(تاريخ – سياسة – أدب- أطفال) وقد تعاملت آنذاك مع هياكل حكومية ومع قوى اليسار عموما ومع بعض المنظمات المهنية والثقافية.

إن هذه المرحلة وإن ساهمت في التعريف والتعارف فإنها كانت محدودة ومسخرة للسياسي وغير فاعلة ثقافيا إذا اعتبرنا أن الثقافة هي أصل من أصول التعاون بين الشعوب.

إننا اليوم نطمح إلى تعاون في مجال النشر يسمح للقارئ الصيني بأن يعرف تاريخنا وحضارتنا وواقعنا ومشاغلنا كما يسمح للقارئ العربي بأن يطلع على أسرار النهضة الصينية العظيمة وخاصيات الوجدان الإنساني الصيني الذي يصور لنا من خلال الثقافة الغربية وكأنه شبح مخيف متجمّد العواطف فاعل جرئ وربما "مجرم" أحيانا.

إن التعارف المباشر عن طريق تبادل النشر سيدعم الثراء المعرفي والثقافي لكل طرف، وسيزيل الجهل والأفكار المسبقة وسيقوي التنوّع الثقافي الكوني مقاومة للاحتكار الغربي عموما والأمريكي بصورة خاصة.

في منطقة المغرب العربي يقوم حوالي 500 ناشر بأعمال النشر في مختلف الاختصاصات من خلال إنتاج ما يقارب 5000 عنوانا سنويا.

يتكون قطاع النشر في هذه المنطقة في أغلبه من القطاع الخاص رغم أن القطاع العام لا يزال يتصرّف في النسبة الغالبة من رقم المعاملات وعدد النسخ المطبوعة، ويستفيد بمفرده من الدعم العام عن طريق جهاز الدولة.

وينتظم الناشرون في هذه المنطقة في منظمات مهنية مستقلة ومنتخبة حسب كل بلد (ليبيا – تونس – الجزائر- المغرب – موريتانيا) تجمع الناشرين في كل بلد، ويجمع الاتحادات الخمسة منظمة مهنية مغاربية (الاتحاد المغاربي للناشرين).

كما ينتظم الناشرون المغاربيون في اتحاد الناشرين العرب مباشرة وكذلك عن طريق انتساب منظماتهم القطرية .

إني على يقين تام بأن مجالات التعاون بين الناشرين العرب وفي المغرب العربي وبين الناشرين الصينيين وفي منطقة نينغشيا أو (نينغ) هي مجالات واعدة خاصة إذا:

- استفدنا من هذا اللقاء الهام لمزيد التعرّف على حاجيات كل طرف وعلى ما يقدّمه كل منا للآخر.
- عرفنا كيف نضع مقاييس تتناسب مع القارئ في كل منطقة (وهنا أتذكر أني نصحت إخواني الصينيين الذين وزعت كتبهم بعض السنوات بأن يبذلوا مجهودا أكبر عند الترجمة في الشكل والمضمون حتى يستفيد القارئ الطفل (العربي) من تلك الصور الجميلة.
- إذا تبادلنا نشر ما يمكن يعرّف بتاريخ المنطقتين المفرد والمشترك بصورة موضوعية بعيدا عن التسخير السياسي.
- إذا عرفنا كيف ندخل قلب كل قارئ بأساليب جديدة تسهل القراءة وتقرّب القارئ.
- إذا استعنّا بالنشر الالكتروني وبكل الوسائل الحديثة.
- إذا قمنا بدراسة وصفية تحليلية لما هو عليه التعاون بين اللغتين في قطاع النشر والتوزيع من أجل التعرف على آفاق تطوره.
- إذا أعطت الحكومات الاهتمام اللازم لمشاريع النشر المشترك، وسخرت جهدا خاصا لوجستيا وماليا لذلك.

- إذا اقتنعت الاتحادات والنقابات بأهمية في الجهتين الأمر وعملت على دعم التعاون وتسهيله.
- إذا جسمنا هذا التعاون انطلاقا من لقائنا اليوم في (نينغشيا).

أتمنى كل النجاح لهذا اللقاء.